المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الملك عبد العزيز

دراسة حديث: "احفظ الله يحفظك" ـدراسة حديثية عقدية.

إعداد:

أ / صالح بن جبير بن جابر الجدعاني

الرقم الجامعي:

(١٨٠٢٠٢١)

العام الجامعي

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد:

لا تزال الشريعة الإسلامية هي الملاذ للمسلمين بل وغيرهم لمقابلة التغيرات التي تصادم المجتمعات، فاعتنت الشريعة بالتربية وإمكانية التغيير مع الطارئ على الطبيعة الإنسانية، ونجد الرعيل الأول قد تصدر المرتبة الأولى في التربية والتحصن ضد المتغيرات.

قد كانت نصائح الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه هي دستور لهم لا يتولون عنها طيلة حياتهم، والمخالف لنصائح رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعرف مصيره- في الدنيا والآخرة- بعدم الفلاح، فكانوا يرصدون نصائحه ويتداولنها مخبرين عنها للوصول إلى الفلاح بالداريين، وكان من النصائح الغالية قوله –صلى الله عليه وسلم–: «احفظ الله يحفظك» فأثرت أن ندرسه دراسة حديثية وعقدية والله أسأل التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يظهر أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١) أن الحديث يختص بأبواب عديدة من العقيدة.

٢) أهمية الحديث وذكره في أبواب كثيرة من أبواب الشريعة ولأنه من جوامع الكلم.

٣) التكامل بين النصيحة وربطها بالإيمان عن طريق العقيدة.

مشكلة البحث:

نستطيع من خلال بحثنا أن نجيب عن السؤال الرئيس؛ كيف تحقق حفظ الله لك؛ وحفظك لحدود الله؟ وينبثق عنه عدة تساؤلات فرعية كالآتي:

- ما هو تخريج وطرق حديث: «احفظ الله يحفظك»؟
- ما المسائل العقدية التي تناولها مضمون الحديث وألفاظه؟
- كيف تحقق حفظ الله لك وحفظك لحدود الله؟
- ما حكم الاستعانة بغير الله والتوكل على غيره؟
- ما هي حقيقة كتابة القدر وهل لها ان تتغير؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في النقاط التالية:

- الوقوف على طرق وتخريج الحديث موضوع الدراسة.
- معرفة المسائل العقدية التي تظهر في الحديث وأقوال العلماء فيها.
- إبراز معنى الحفظ من الله والحفظ لله.
- بيان الاستعانة والتوكل والكتابة القدرية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال أهل العلم وبخاصة المتخصص منهم –في العقيدة-، ومطالعة محركات البحث وقفت على الدراسات والأبحاث التي تناولت دراسة حديث: ((احفظ الله يحفظك))، لكن تناولت في بحثي النظرة العقدية، ومباحث الاتقاد لكل ألفاظ الحديث، مما جعلها تختلف شكليًا ومضمونًا عنها، وجاءت الدراسات مرتبة من الأقدم للأحدث كالآتي:

(١) دراسة التميمي (١٩٦٨).

بعنوان: «**السنة النبوية ؛ يا غلام احفظ الله يحفظك**». بحث مُقدم من الباحث: عز الدين الخطيب التميمي، نُشر بمجلة: هدي الإسلام، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، مج ١٢، ع ١، الأردن، بتاريخ: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

(٢) دراسة الراوي (١٩٦٨).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك**». بحث مُقدم من الباحث: سلمان الراوي، بمجلة: التربية الإسلامية، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، المجلد: ٩، العراق، بتاريخ: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

(٣) دراسة بخات (١٩٧٧).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك**». بحث مُقدم من الباحث: محمد بن إبراهيم الإدريسي بخات،

حضارة الإسلام، الناشر: مصطفي السباعي، المجلد: ١٨/ العدد: ٣، سوريا، بتاريخ: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٤) دراسة كوجاك (١٩٧٨).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك**»، بحث مُقدم من الباحث: حسين كوجاك، نُشر بمجلة: هدي الإسلام، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، المجلد: ٢٢/ العدد: ٩، ١٠. الأردن، بتاريخ: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٥) دراسة أم عابد (١٩٨٨).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك الشاب الجميل الذي أوتي شطر الحسن**»، بحث مُقدم من الباحثة: أم عابد. نُشر بمجلة: التربية الإسلامية، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، العدد: ٤، العراق، بتاريخ: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٦) دراسة أم عابد (١٩٨٨).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك سر النجاة**»، بحث مُقدم من الباحثة: أم عابد. نُشر بمجلة: التربية الإسلامية، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، العدد: ١، العراق، تاريخ: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

(٧) دراسة لوزاني (٢٠٠٨).

بعنوان: «**احفظ الله يحفظك**»، بحث مُقدم من الباحث: محمد لوزاني، نُشر بمجلة الإصلاح، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مج ٢، ع ٩، الجزائر، بتاريخ: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

التعقيب على الدراسات بإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين بحثي:

اتفقت هذه الدراسات –التي هي في حقيقتها أبحاث وليست محكمة- مع بحثي في تناول حديث: ((احفظ الله يحفظك))، إلا أنها اختلفت في التناول فجاءت الأبحاث

متحدثة من الجوانب الدعوية، وارتكزت دراستي على الجوانب العقدية لكل ألفاظ الحديث مقدمة بدراسة حديثية.

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تتبعت ألفاظ الحديث بالدراسة العقدية ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: نص الحديث، وتخريجه، ورواياته.

المبحث الأول: حفظ العبد لأوامر الله وحدوده.

المبحث الثاني: حكم إطلاق لفظة الجهة على الله.

المبحث الثالث: توحيد الله في سؤاله والاستعانة به.

المبحث الرابع: النفع والضر من الله وحده وحكم تسميته بالنافع الضار.

المبحث الخامس: كتابة القدر وسبق الأقلام وتفسيرهما في الإيمان بالقضاء والقدر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس: واشتملت على:

أ) فهرس المصادر والمراجع.

ب) فهرس المحتويات.

التمهيد

شرح الحديث، وتخريجه، ورواياته

أولًا: نص الحديث:

عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا، فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**».

ثانيًا: تخريج الحديث:

أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٢٨٤) برقم: (٢٥١٦) ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، باب منه، بنحوه.

وأخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ٦٤٨) برقم: (٢٧١٣)، مسند بني هاشم رضي الله عنهم ، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، بنحوه.

وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٤ / ٤٣٠) برقم: (٢٥٥٦) (أول مسند ابن عباس ،) (بنحوه.)

وأخرجه عبد بن حميد في "المنتخب من مسنده" (١ / ٢١٤) برقم: (٦٣٦)، مسند ابن عباس رضي الله عنه ، بنحوه مطولا.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١١ / ١٢٣) برقم: (١١٢٤٣)، باب العين ، عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس، بمعناه مطولا. وفي "الأوسط" (٥ / ٣١٦) برقم: (٥٤١٧)، باب الميم ، محمد بن أحمد بن أبي خيثمة، بنحوه.

وأخرجه الحاكم في "مستدركه" (٣ / ٥٤١) برقم: (٦٣٥٩)، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، تعليم النبي ابن عباس رضي الله عنهما، بمعناه مطولا .

وأخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٢٢) برقم: (١٢)، من اسمه عبد الله ، حنش بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس ،بهذا اللفظ .

رابعًا: طرق الحديث:

فهذا الحديث روي من طريق عطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وعبد الملك بن عمير القبطي، وحنش بن عبد الله، وابن أبي مليكة عن ابن عباس.

وروي من طريق كهمس بن الحسن النمري واختلف على كهمس بن الحسن النمري فرواه عبد الله بن يزيد القصير عن كهمس بن الحسن النمري عن حجاج بن فرافصة الباهلي عن ابن عباس، وعن كهمس بن الحسن النمري عن قيس بن الحجاج عن حنش بن عبد الله عن ابن عباس.

وروي من طريق همام بن يحيى بن دينار واختلف على همام بن يحيى بن دينار فرواه عبد الله بن يزيد القصير عن همام بن يحيى بن دينار عن ابن عباس، وعن همام بن يحيى بن دينار عن قيس بن الحجاج عن حنش بن عبد الله عن ابن عباس.

خامسًا: روايات الحديث:

في رواية أحمد (٢٨٤٩): كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي رواية أبي يعلى الموصلي: أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمًا.

وفي رواية أحمد (٢٨٠٧) : يَا غُلَيِّمُ. وفي رواية المقدسي في المختارة : يَا بُنَيَّ.

وفي رواية أحمد : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا.

وفي رواية الطبراني (٥٤١٧): وَاحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ. وفي رواية الترمذي (٢٥١٦): تُجَاهَكَ.

وفي رواية عبد بن حميد (٦٣٦): وَتَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ.

وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير(١١٢٤٣): فَإِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ.

وفي رواية عبد بن حميد (٦٣٦): وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ .

وفي رواية الطبراني المعجم الكبير(١١٢٤٣): جَرَى الْقَلَمُ، وفي رواية أحمد (٢٨٤٩): جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ.

وفي رواية الأحاديث المختارة (١٣): جَهَدَتِ الْأُمَمُ. وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير (١١٢٤٣): الْخَلَائِقُ.

المبحث الأول

حفظ العبد لأوامر الله وحدوده

- **قوله (صلى الله عليه وسلم): "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ".**

أن حفظ العبد لأوامر الله وحدوده نوع من أنواع العبودية، وهو أعظم ما يجب على المسلم حفظه، فعبادته -سبحانه وتعالى- أمانة، وأداء الأمانة واجب عقلا وشرعا، وأداء الأمانة من أحد الجانبين سبب لأداء الأمانة من الجانب الآخر، فمن حفظ أوامر الله وحدوده حفظه الله وأكرمه، ومن أضاع أوامر الله وحدوده أهلكه الله وأهانه، ومن أسمائه الحسنى: الحفيظ والحافظ، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، فالله تبارك وتعالى هو الحفيظ، الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من الوقوع في الذنوب والمهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها، وهو سبحانه الحافظ الذي يحفظ عباده من المهالك والمعاطب، ويقيهم مصارع السوء، ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، الذي يعلم نياتهم وما تكن صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية، والله -سبحانه وتعالى- خلق هذا الكون العظيم وتكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[3]، والمحفوظ هو ما حفظه الله سبحانه، وشاء له أن يُحفظ ويبقى، وما شاء الله له أن يضيع ويهلك، فإنه ضائع هالك لا محالة، وهو سبحانه الحافظ لكل شيء[4].

والمؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، فلا يجوز له أن يترك منه شيئا لتعارضه مع هواه ومصلحته، وكلما كان العبد لحفظ دين الله أكمل، كان حفظ الله له أكمل وأتم وأدوم،

---

[1] سورة سبأ، الآية: ٢١.

[2] سورة الحجر، الآية: ٩.

[3] سورة هود، الآية: ٥٧.

[4] التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، موسوعة فقه القلوب، بيت الأفكار الدولية، (١ / ٢١٣، ٢ / ٧١٤).

ومن حفظ حدود الله وراعى حقوقه، تولى الله حفظه في أمور دينه ودنياه وأخراه، وما حفظه الله لا يضيع ولو أجمعت المخلوقات كلها على إضاعته وإتلافه، قال تعالى: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٥]، والله -عز وجل- هو الحافظ الذي يحفظ أعمال العباد، فلا يضيع منها شيء، ولا يخفى عليه شيء، صغيرا كان أم كبيرا، ثم يوافيهم به يوم القيامة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾[٦].

ومن أسمائه الحسنى: الحفيظ والحافظ، وللحفيظ معنيان: أولهما أن الله -سبحانه وتعالى- قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية؛ فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكَّل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٧]، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله وعدله، أما المعنى الثاني، فيُراد به أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون[٨].

وحفظ الله سبحانه لخلقه نوعان: الأول حفظ عام لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيها، ويحفظ أبدانها، وإلهامها تدبير شئونها، والسعي فيما يصلحها، كل حسب خلقته، فهو سبحانه: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[٩]، أي هدى كل مخلوق

---

[٥] سورة يوسف، الآية: ٦٤.

[٦] سورة القمر، الآيتان: ٥٢ – ٥٣. وينظر: التويجري، موسوعة فقه القلوب، (١ / ٢١٦).

[٧] سورة الانفطار، الآية: ١٢.

[٨] القحطاني، سعيد بن على بن وهف، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة (المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض)، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (١ / ٢٦٩، ٢٧٠).

[٩] سورة طه، الآيه: ٥٠.

إلى ما قدّر له، وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل والمشرب والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضارّ، وهذا يشترك فيه البرّ والفاجر، بل الحيوانات وغيرها، فهو الذي يحفظ السموات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكّل بالآدمي حفظةً من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضرّه مما هو بصدد أن يضرّه لولا حفظ الله[١٠].

والنوع الثاني: حفظ خاص لأوليائه، وذلك حفظ زائد على ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم، وحفظهم مما يزلزل يقينهم من الفتن والشبهات والشهوات، فيعافيهم منها، ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس، فينصرهم عليهم، ويدفع كيدهم عنهم[١١]، وعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث الذي بين أيدينا: **"احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ"**، أي احفظ أوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعدّيها، يحفظك في نفسك، ودينك، ومالك، وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله[١٢].

---

[١٠] القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، (١ / ٢٦٩، ٢٧٠).

[١١] التويجري، موسوعة فقه القلوب، (١ / ٢١٦)، القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة، (١ / ٢٧٠).

[١٢] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، ص ٦٠، ٦١.

المبحث الثاني

حكم إطلاق لفظة الجهة على الله

- **قوله (صلى الله عليه وسلم): "احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ".**

ان لفظ الجهة في هذا الحديث قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق -سبحانه وتعالى-، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته؛ ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟، فالله ليس داخلا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟، فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟، فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل"[١٣].

ومعنى ذلك، أن بعض الناس قد يأتي ويقول أن الله -عز وجل- منزه عن الجهة، فنقول له: كلامك هذا مجمل، فما قصدك بالجهة؟، فهذه الكلمة لم ترد في الكتاب والسنة، وهي بدعة، فأنت تكلمت ببدعة، لكن حينما نفيت الجهة ماذا تقصد؟، فلابد من أن يقصد أحد أمرين: إما أن يقصد بالجهة العلو والفوقية والاستواء، وإما أن يقصد بالجهة المكان الذي يحصر الموجود، فإن قصد بالجهة المكان الذي يحصر ويحيط بالموجود؛ فنقول: الله -عز وجل- لا يحيط به شيء، وهو سبحانه أعظم وأجل

---

[١٣] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، (٣ / ٤١، ٤٢)، الخميس، محمد بن عبد الرحمن، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء، ط. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

من أن تحيط به المخلوقات، فهذا المعنى منفي عن الله فعلاً، لكن لماذا سميته جهة؟!) وإما أن يقصد بالجهة العلو والفوقية، فنقول له: أخطأت في نفي الجهة؛ لأنك حينما سميت العلو والفوقية جهة بهذا اللفظ أخطأت، فالعلو والفوقية والاستواء ثابتة لله عز وجل، لكننا لا نسميها جهة، وكذلك لو أطلق إنسان الجهة على الله -عز وجل- على سبيل الإثبات وليس على سبيل النفي، فقال: أنا أطلق على الله الجهة، نقول له: ماذا تقصد؟، فإن قال: أقصد بالجهة أنه تحيط به الأشياء، قلنا: هذا باطل، ونرد اللفظة ومعناها الباطل، وإن قصد بإثبات الجهة إثبات العلو والفوقية والاستواء، فنقول له: المعنى الذي قصدته بالجهة، وهو العلو والفوقية والاستواء لله -عز وجل-، صحيح، لكننا لا نحتاج إلى كلمة (جهة)؛ لأنها مشتبهة، فأخذنا المعنى ورددنا اللفظ، وهكذا كل مثال يرد من هذه الأمور المشتبهات، فما فيه من معنى صحيح نأخذه، لكن نرد اللفظ؛ لأن اللفظ مشتبه، وما فيه من معنى باطل نرده مع لفظه مطلقاً"[١٤].

ويقول الألباني (رحمه الله): "نحن لا نقول إن لله مكانا أو إن له جهة، كما أننا لا ننفي المكان عنه، ولا الجهة، وإنما ننظر إلى النافي وإلى المثبت، ننظر إلى كل منهما ماذا يعني إذا أثبت المكان أو الجهة، أو ماذا يعني إذا نفى المكان أو الجهة؟، فإن كان ما يعنيه هذا أو ذاك مطابقا للكتاب والسنة قبلنا معناه، ورفضنا لفظه؛ لأن اللفظ لم يرد، فمن قال: إن الله -عز وجل- ليس له جهة، إن كان يعني ليس له جهة من الجهات الست مطلقا كما هو طبيعة الإنسان لابد ما يكون في جهة، فهذا قد يقال، إلا إذا نفى أن يكون الله -عز وجل- في جهة العلو حينئذ نقول له: أخطأت؛ لأنك نفيت ما جاءت نصوص الكتاب والسنة متواترة على إثباته وهو: ارتفاع الله عز وجل على عرشه وعلوه

[١٤] العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي، شرح الطحاوية، (٤٦ / ١٠).

على خلقه، وإن عنيت بالنفي أن الله بحاجة إلى الجهة وإلى المكان، قلنا: نحن معك؛ لأن الله هو الغني عن العالمين، لكن هذا لا يعني أنه ليس له صفة العلو"[١٥].

وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة، مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[١٧]، ومثل قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[١٩]، ومثل قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٢٠]، ومثل قوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[٢١]، إلى غير ذلك من الآيات، وهذه الآيات إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولًا، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهًا، لأن الشرائع كلها مبنية على أنَّ الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأنَّ من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، حتى قرب من سدرة المنتهى، وقد اتفق جميع الحكماء على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت على ذلك كافة الشرائع[٢٢].

---

[١٥] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، جمع وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، (٦ / ٣٦٠).

[١٦] سورة طه، الآية: ٥.

[١٧] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[١٨] سورة الحاقة، الآية: ١٧.

[١٩] سورة السجدة، الآية: ٥.

[٢٠] سورة المعارج، الآية: ٤.

[٢١] سورة الملك، الآية: ١٦.

[٢٢] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ، (١ / ١٥٨، ١٥٩).

وقد نفى المعتزلة مسألة الجهة، ثم تبعهم متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وفي هذا الصدد، ذكر ابن رشد ما ذكره عن مذهب الفلاسفة في مسألة الجهة، وهذا لفظه في كتاب "مناهج الأدلة في الرد على الأصولية"، يقول: "القول في الجهة، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة، من أول الأمر، يثبتونها لله سبحانه وتعالى، حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، كأبي المعالي، ومن اقتدى بقوله..."، وأدعى نفاة الجهمية أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، وهذا قادهم إلى نفي الجهة[٢٣].

وللرد على شبهة الجهمية نستعين بقول ابن تيمية: "إن هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان، وذلك أن الجهة هي إمَّا سطوح الجسم نفسه المحيطة به، وهي ستة، وبهذا نقول: إنَّ للحيوان فوقًا وأسفلًا ويمينًا وشمالًا، وأمامًا وخلفًا، وإما سطوح جسم آخر تحيط بالجسم من الجهات الست، فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه، فليست بمكان للجسم نفسه أصلًا، وأما سطوح الجسم المحيطة به، فهي له مكان، مثل سطوح الهواء المحيطة بالإنسان، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضًا مكان للهواء، وهذه الأفلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له، وأما سطح الفلك الخارج، فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم، لأنه لو كان ذلك كذلك، لوجب أن يكون خارج هذا الجسم جسم آخر، ويمر الأمر إلى غير نهاية، فإذا سطح آخر أجسام العالم ليس مكانًا أصلًا، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم، لأن كل ما هو مكان يمكن أن يوجد فيه جسم، فإذًا قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة، فواجب أن يكون غير جسم، فالذي يمتنع وجوده هناك هو عكس ما ظنَّه القوم فهو موجود هو جسم، لا موجود ليس بجسم، وليس لهم أن يقولوا: إنَّ خارج العالم خلاء، وذلك أنَّ الخلاء يبين في العلوم النظرية امتناعه، لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيئًا، أكثر من أبعاد ليس فيها جسم، أعني طولًا وعرضًا وعمقًا، لأنه إنْ رفعت الأبعاد عنه عاد عدمًا، وإن

---

[٢٣] ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، (١ / ١٥٩)، نقلاً عن: ابن رشد، مناهج الأدلة في الرد على الأصولية.

أنزل الخلاء موجودًا، لزم أن يكون أعراضًا موجودة في غير جسم، وذلك أنَّ الأبعاد، هي أعراض من باب الكمية ولا بد، ولكنه قد قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة؛ أنَّ ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين، يريدون الله والملائكة، وذلك أنَّ الموضع هو ليس بمكان فلا يحويه زمان، فكذلك إنْ كان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسدًا، فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن، وقد تبين هذا المعنى مما أقوله؛ وذلك أنه لمَّا لم يكن هاهنا شيء إلا هذا الوجود المحسوس والعدم، وكان من المعروف أنَّ الموجود إنما يُنسب إلى الوجود؛ أعني أنَّه يقال: إنَّه موجود؛ أي: في الوجود، إذ لا يمكن أن يقال: إنه موجود في العدم، فإن كان هاهنا موجود، هو أشرف الموجودات، فواجب أن ينسب من الموجود المحسوس إلى الجزء الأشرف، وهي السموات، ولشرف هذا الجزء قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٤]، وهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم، فقد ظهر لك من هذا أنَّ إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وابْتنى عليه، فإنَّ إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع، وأن وجه العسر في تفهيم هذا المعنى، مع نفي الجسمية؛ هو أنه ليس في الشاهد تمثال له، وهو بعينه السبب في أنْ لم يصرح الشرع بنفي الجسم عن الخالق سبحانه؛ والشبهة الواقعة في نفي الجهة عند الذين نفوها، ليس يتفطن الجمهور لها، لا سيما إذا لم يصرح لهم بأنه ليس بجسم، فيجب أن يمتثل في هذا كله فعل الشرع، وأن لا يتأول، ما لم يصرح الشرع بتأويله، ..."[٢٥].

---

[٢٤] سورة غافر، الآية: ٥٧.

[٢٥] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، (٦ / ٢١٢ - ٢٢٥)، ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، (١ / ١٥٩ – ١٦٥).

المبحث الثالث

توحيد الله في سؤاله والاستعانة* به

- **قوله (صلى الله عليه وسلم): "إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ".**

تُعد الاستعانة من أجل وأعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢٦]، أي: نفردك بالاستعانة بك دون خلقك، فلا يُعْبَدُ إلا الله، ولا يُستعان إلا به جل وعلا؛ وقال ابن عباس في قوله: ﴿إياك نعبد﴾، يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو ربنا لا غيرك، ﴿وإياك نستعين﴾، على طاعتك وعلى أمورنا كلها[٢٧]، وإذا تقرر أن الاستعانة عبادة، وتدخل في باب توحيد الألوهيَّة، علمنا أنه لا يجب صرف شيء من العبادات لغير الله تعالى، فالعبادات بأنواعها القلبية، والقولية، والعملية حق لله تعالى، لا يجوز أن تصرف لغيره، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، وفي حديثنا هذا، أَمَرَ النبيُ (صلى الله عليه وسلم) بالاستعانة بالله، فقال: "وإذا استعنت فاستعن بالله"، فحصر الاستعانة بالله وحده دون غيره، يقول العلامة صديق حسن خان: "وقد تقرر أن العبادة لا تجوز إلا لله، وأنه هو المستحق لها، فكل ما يسمى في الشرع عبادة ويصدق عليه مسماها فإن الله يستحقه، ولا استحقاق لغيره فيها، ومن أشرك فيها أحداً من دون الله فقد جاء بالشرك، وكتب اسمه في ديوان الكفر"[٢٨].

---

* **الاستعانة:** طلب العون؛ استعان: طلب الإعانة، والاستعانة بالله شرعًا، هي: طلبُ العون من الله في الوصول إلى المقصود، وطلب العون من الله (جل وعلا) يكون على الأمور الدينية وعلى الأمور الدنيوية، وقد وردت كلمة الاستعانة في القرآن الكريم ست مرات، منها: مرة واحدة في سورة الفاتحة، وجاءت بصيغة الجمع، ومرة في سورة الأعراف، بصيغة الأمر "استعينوا"، ومرتين في سورة البقرة، بصيغة الأمر أيضاً، "استعينوا"، ووردت مرة في سورة يوسف، ومرة في سورة الأنبياء بصيغة اسم المفعول "المستعان"، للدلالة على الحال أو الاستقبال.

[٢٦] سورة الفاتحة، الآية: ٥.

[٢٧] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، (١ / ٣٧).

[٢٨] القنوجي، صديق حسن خان، الدين الخالص، باب في رد الإشراك في العبادات، (٢ / ٥٢).

ان الشرك بالله -سبحانه وتعالى- بصرف شيء من العبادة لغيره، له صور كثيرة، منها الشرك في دعاء المسألة، وهو أن يطلب العبد من ربه جلب مرغوب أو دفع مرهوب، ويدخل في دعاء المسألة: الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والاستجارة بغير الله -سبحانه وتعالى-، قال الخطابي: "ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه -عز وجل- العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله -عز وجل- وإضافة الجود والكرم إليه"، وتوحيد الله -سبحانه وتعالى- في سؤاله والاستعانة به فرض عين على كل مسلم ومسلمه، فسؤال الله تعالى والاستعانة به ودعائه من أهم أنواع العبادة التي يجب صرفها لله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائنا من كان، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣٠]، وثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "**الدعاء هو العبادة**"[٣١]، فمن دعا غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر[٣٢].

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، فالإنسان إذا سأل شيئا فإنه يخضع ويذل ويستكين، وهذا هو العبادة، فيكون في ضمن السؤال عبادة، ولذا حرم الله -سبحانه وتعالى- أن يسأل الإنسان أحدا من الخلق؛ لأنه يذل له قلبه، ويستكين له، ويخضع له، وهذا لا يجوز أن يكون إلا لله جل وعلا؛ لأنه عبادة، فيكون تحريم المسألة صيانة للإنسان، وإكراما له من الله (جل وعلا)، أكرمه الله بأن لا يخضع لمخلوق مثله، ويكون خضوعه لله وحده، ويكون استغناؤه بالله وحده، ويكون افتقاره إلى الله وحده، فالافتقار

---

[٢٩] سورة الجن، الآية: ١٨.

[٣٠] سورة غافر، الآية: ٦٠.

[٣١] **حديث صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في المصنف في الدعاء (١٠ / ٢٠٠)، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه كذلك النووي كما في فيض القدير (٣ / ٥٤٠)، والألباني في صحيح الترمذي.

[٣٢] الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ص ١٦٢ – ١٦٤.

إلى الله عبادة، أما الافتقار إلى المخلوق فهو شرك، وكما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، فان دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة أيضاً، وذلك أن المصلي والمزكي والمتصدق والذاكر والتالي يطلب بفعله هذا الثواب، يطلب من الله أن يثيبه على ذلك، وهذا هو دعاء المسألة؛ لكونه يطلب الثواب أو يطلب الالتجاء والاستعاذة من العذاب[٣٣].

ويجب على العبد المؤمن الموحد بالله ألا يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، سواء أكان هذا المخلوق حيا أم ميتا، نبيا أم وليا أم ملكا أم جنيا أم غيرهم، كأن يطلب منه شفاء مريضه أو نصره على الأعداء، أو كشف كربة، أو أن يغيثه، أو أن يعيذه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا كله شرك أكبر، مخرج من الملة بإجماع المسلمين؛ لأنه دعا غير الله، واستغاث به، واستعاذ به، وهذا كله عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله بإجماع المسلمين، وصرفها لغيره شرك، ولأنه اعتقد في هذا المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى[٣٤].

[٣٣] الغنيمان، عبد الله بن محمد، شرح فتح المجيد، (٤٦ / ٣).

[٣٤] الجبرين، تسهيل العقيدة الإسلامية، ص ١٦٥.

المبحث الرابع

النفع والضر من الله وحده وحكم تسميته بالنافع الضار

- **قوله (صلى الله عليه وسلم): "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ".**

ينبغي على المسلم أن يعلم أن النفع والضر من الله وحده، فالخير والشر من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٣٥]، وقال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٣٧].

وفي الحديث الذي بين أيدينا، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ"، وفي حديث آخر عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، يقول الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ"[٣٨]، وهذا يدل على أنه لا ينفع في الحقيقة إلا الله، ولا يضر غيره.

---

[٣٥] سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

[٣٦] سورة الأنعام، الآية: ١٧.

[٣٧] سورة الزمر، الآية: ٣٨.

[٣٨] **حديث صحيح:** رواه الترمذي (٣٣٨٨)، أبو داود (٥٠٨٨)، ابن ماجه (٣٨٦٩).

وبما أن النفع والضر من الله وحده، فان اعتقاد بعض المسلمين أن للأولياء تصرفات تضر وتنفع، وتجذب المنافع، وتدفع البلاء، من أقبح الاعتقادات، وهذا من الكفر والشرك بالله -عز وجل-؛ لأن الأولياء لا ينفعون ولا يضرون، ولا يجيئون بمنافع، ولا يدفعون مضار إذا كانوا أمواتا وصح أن يسموا أولياء؛ لأنهم معروفون بالعبادة والصلاح، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون، بل النافع الضار هو الله وحده، هو الذي يجلب النفع للعباد، ويدفع عنهم الضرر، كما قال الله (جل وعلا) لنبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾[٣٩]، فهو سبحانه النافع الضار جل وعلا، قال -سبحانه وتعالى- في المشركين: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[٤٠]، فالله جل وعلا هو النافع الضار، وجميع الخلق لا ينفعون ولا يضرون، أما الأموات فظاهر؛ لأنهم قد انقطعت حركاتهم وذهبت حياتهم، فلا ينفعون أنفسهم ولا غيرهم، ولا يضرون؛ لأنهم قد فقدوا الحياة، وفقدوا القدرة على التصرف، وهكذا في الحياة لا ينفعون ولا يضرون إلا بإذن الله، هم بزعمهم أنهم يستقلون بالنفع والضر وهم أحياء كفر أيضا، بل النافع الضار هو الله وحده -سبحانه وتعالى-، ولهذا لا تجوز عبادتهم ولا دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم ولا النذر لهم ولا طلبهم المدد، ومن هذا يعلم كل ذي بصيرة أن ما يفعله الناس عند قبر البدوي، أو عند قبر الحسين، أو عند قبر الكاظم، أو عند قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو ما أشبه ذلك من طلب المدد والغوث أنه يكفر بالله، بل يشرك بالله -سبحانه وتعالى-، فيجب الحذر من ذلك والتوبة من ذلك والتواصي بترك ذلك[٤١].

أن الاعتقاد بأن النفع والضر من الله وحده، جزء عظيم من توحيد الربوبية، ومع ذلك نرى كثير من النَّاس يقولون: إن الله هو الضار وهو النافع، ولكنهم يلتمسون أسباب

---

[٣٩] سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

[٤٠] سورة يونس، الآية: ١٨.

[٤١] ابن الباز، عبد العزيز بن عبد الله، فتاوى نور على الدرب، جمع وترتيب: محمد بن سعد الشويعر، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، (١٢ / ١١٣، ١١٤).

الشفاء، وأسباب النفع من الوسائل المحرمة، ومن غير الطريق المشروع وهذا دليل عَلَى أنهم لم يستيقنوا فعلاً أن الضار النافع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالذي يوقن بأن الله هو الضار النافع لا يذهب إِلَى الكهان والسحرة والمشعوذين، ولا يأخذ منهم أنواعاً من العلاجات والأدوية وهو يعلم أن فيها شركيات، إن الذي يوقن بأن الله هو الضار النافع يكون قلبه كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي بين أيدينا: "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ"، فهناك فرق بين من يعرف حقيقة معنى الضار النافع، وبين من يجهله[٤٢].

والضار النافع، مما يحسن القران في الذكر بينهما، لأن في اجتماعهما وصفا له بالقدرة على نفع من شاء، وضر من شاء، وذلك أن من لم يكن على النفع والضر قادرا لم يكن مرجوا ولا مخوفا، وفيه إثبات أن الخير والشر من قبل الله (جل وعز)، وقد يكون معناه أيضا: أنه يقلب الضار بلطيف حكمته منافع؛ فيشفي بالسم القاتل إذا شاء، كما يميت به إذا شاء؛ ليعلم أن الأسباب إنما تنفع وتضر إذا اتصلت المشيئة بها"[٤٣].

ومما ينبغي لنا ذكره في هذا المقام، أن من أسمائه الحسنى ما يؤتي به مفردا ويؤتى به مقرونا مع غيره، وهو أكثر الأسماء الحسنى، فيدل ذلك على أن لله كمالا من إفراد كل من الاسمين فأكثر وكمال من اجتماعهما أو اجتماعها، ومن أسمائه مالا يؤتى به إلا مع مقابلة الاسم الآخر، لأن الكمال الحقيقي تمامه وكماله من اجتماعهما، وذلك مثل هذه الأسماء وهي متعلقة بأفعاله الصادرة عن إرادته النافذة وقدرته الكاملة وحكمته الشاملة، فهو تعالى النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل

---

[٤٢] الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٦٦.

[٤٣] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٩٤، ٩٥.

الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكونية وللأسباب التي جعلها موصلة إلى مسبباتها، فإن الله تعالى جعل مقاصد للخلق وأمورا محبوبة في الدين، والدنيا، وجعل لها أسبابا، وطرقا، وأمر بسلوكها ويسرها لعباده غاية التيسير، فمن سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركها أو ترك بعضها أو فوت كمالها أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب فلا يلومن إلا نفسه، وليس له حجة على الله، فإن الله أعطاه السمع، والبصر، والفؤاد، والقوة، والقدرة، وهذه النجدين وبين له الأسباب، والمسببات ولم يمنعه طريقا يوصل إلى خير ديني، ولا دنيوي، فتخلفه عن هذه الأمور يوجب أن يكون هو الملوم عليها المذموم على تركها[٤٤].

بقي لنا أخيراً في نهاية هذا المبحث، أن نوضح أن النافع الضار ليس من أسماء الله الحسنى، بل هما من صفات الله -عز وجل- فهو الذي بيده النفع وبيده الضر، وليس الضار من الصفة التي تقال وحدها، بل يقال: النافع الضار معاً، فإن قيل: النافع فقط فلا بأس، لكن النافع الضار فيه أن الله -عز وجل- بيده الأمر كله من نفعٍ وضر، وعلى كل حال فهما ليسا من أسماء الله، وإنما مما يوصف الله بهما فقط، والحديث الوارد في عدهما من أسماء الله ضعيف[٤٥].

---

[٤٤] السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط. ١٤٢١هـ، ص ٢١٣، ٢١٤.

[٤٥] ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، لقاء الباب المفتوح، (٦ / ١٧).

المبحث الخامس

كتابة القدر وسبق الأقلام وتفسيرهما في الإيمان بالقضاء والقدر

قوله (صلى الله عليه وسلم): "رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ"، كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته، ورفعت الأقلام عنه، وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحيفة التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دل الكتاب والسنن الصحيحة الكثيرة على مثل هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾[٤٦]، وروى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو ابنِ العَاصِ (رضي اللهُ عنهما)، أَنَّ النَّبِيَّ (صلى اللهُ عليه وسلم) قَالَ: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[٤٧][٤٨].

والرضا بالقضاء والقدر واجب، إذ يجب على العبد أن يرضى بقدر الله -عز وجل-؛ لأن هذا مقتضى الإيمان بالربوبية، وأن ما شاء الله عز وجل كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن أفعال الله لا تكون إلا بالحكمة، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فعلى هذا يكون الرضا بالقضاء والقدر من الله -عز وجل- واجبا على العبد، وإذا علمنا ذلك، كان لزاماً علينا ألا نحزن حين فوات شيء من الدنيا ومصالحها،

---

[٤٦] سورة الحديد، الآية: ٢٢.

[٤٧] رواه مسلم (٢٦٥٣).

[٤٨] صقر، شحاته محمد، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث، البحيرة، (١ / ٢٤٧).

إذ إن ما لم يقدر ينقطع الطمع فيه، والحزن والأسى عليه من الحمق، والله لا يريد لنا أن نقع في ذلك لما ينتج عن الحزن من الآثار السيئة على فكر المرء وتصرفاته[٤٩].

وهناك بعض الفروق بين الرضا بالقضاء والقدر وبين الإيمان بالقضاء والقدر، فالإيمان هو مجرد التسليم واليقين والتصديق، وهو أمر قد لا يتعدى إلى الرضا، بمعنى أن هناك من يؤمن بالقضاء والقدر، لكن إذا حصل القدر فيما لا يحمد قد لا يرضى، وقد لا يصبر، فهذا أمر ينافي الرضا، ولا ينافي مجرد التصديق أو مجرد الإيمان، فالرضا أمر زائد على الإيمان بالقدر، وكثير من العباد قد يسلمون بالقدر ويؤمنون به، لكن إذا حصل قد يضعف إيمانهم عن الرضا، وقد يحصل لهم شيء من الجزع وعدم التحمل[٥٠]، أما العبد قوي الإيمان الذي يعلم أن تقدير الله -عز وجل- سبق وجود هذه النعم فإنه لا يتغير عنده شيء لعلمه وإيمانه أن ما وقع كائن لا محالة فكما أن كتابته سبقت وجوده فكذلك إيمانه سبق وقوعه، وعلم الله تعالى للأشياء قبل وقوعها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله -عز وجل-، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[٥١].

---

[٤٩] العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي، شرح الطحاوية، (٨٢ / ١١).

[٥٠] العقل، ناصر بن عبد الكريم العلي، شرح الطحاوية، (٨٢ / ١١).

[٥١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، (١٣ / ٤٣١).

الخاتمة

وبعد أن تناولنا حديث "احفظ الله يحفظك" وقمنا بدراسته دراسة عقدية، توصلنا إلى النتائج التالية:

- أن حفظ العبد لأوامر الله وحدوده نوع من أنواع العبودية، وهو أعظم ما يجب على المسلم حفظه، وكلما كان العبد لحفظ دين الله أكمل، كان حفظ الله له أكمل وأتم وأدوم، ومن حفظ حدود الله وراعى حقوقه، تولى الله حفظه في أمور دينه ودنياه وأخراه.
- أن ظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة، ولكن ينبغي أولاً السؤال عن المقصود بالجهة، فإن كان المقصود بالجهة مطابقا للكتاب والسنة قبلنا المعنى، وفوضنا الكيفية، وإذا كان مخالفاً للكتاب والسنة رددناه.
- لا يجب صرف شيء من العبادات لغير الله تعالى، فالعبادات بأنواعها القلبية، والقولية، والعملية حق لله تعالى، لا يجوز أن تصرف لغيره، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر.
- أن توحيد الله -سبحانه وتعالى- في سؤاله والاستعانة به فرض عين على كل مسلم ومسلمه، فسؤال الله تعالى والاستعانة به ودعائه من أهم أنواع العبادة التي يجب صرفها لله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائنا من كان، فمن دعا غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر ولعياذ بالله.
- أن النفع والضر من الله وحده، فلا ينفع في الحقيقة إلا الله، ولا يضر غيره، واعتقاد بعض المسلمين أن للأولياء تصرفات تضر وتنفع، وتجذب المنافع، وتدفع البلاء، من أقبح الاعتقادات، وهذا من الكفر والشرك بالله -عز وجل-.
- أن الرضا بالقضاء والقدر واجب، وهو من مقتضى الإيمان بالربوبية، وأن ما شاء الله عز وجل كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن أفعال الله لا تكون إلا بالحكمة، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢- ابن الباز، عبد العزيز بن عبد الله، فتاوى نور على الدرب، جمع وترتيب: محمد بن سعد الشويعر، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

٣- ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، لقاء الباب المفتوح، لقاءات الشيخ بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ، وأصلها دروس صوتية قام بتفريغها طلبة العلم.

٤- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٥- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٧- ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: محمد عابد الجابري، بيروت- لبنان، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٩- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٠-أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١١-أبو يعلى في "مسنده"، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

١٢-أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٣-الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، جمع وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

١٤-الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٥-التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، موسوعة فقه القلوب، بيت الأفكار الدولية.

١٦-الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة، تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

١٧-الحاكم أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

١٨-الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٩-الخميس، محمد بن عبد الرحمن، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء، ط. ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م.

٢٠-السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط. ١٤٢١هـ، ص ٢١٣، ٢١٤.

٢١-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٢٢-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.

٢٣-صقر، شحاته محمد، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث، البحيرة.

٢٤-الضياء المقدسي ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (المتوفى: ٦٤٣هـ)، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٥-الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة

٢٦-الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

٢٧-الطبعة: الثانية.

٢٨-عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ)، في " المنتخب من مسند عبد بن حميد "، المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٢٩-القحطاني، سعيد بن على بن وهف، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة (المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض)، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٣٠-القنوجي، صديق حسن خان، الدين الخالص، باب في رد الإشراك في العبادات.

٣١-مسلم، النيسابوري بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.